كرّسته موهبته الصادقة والعفوية شاعراً كبيراً وصوتاً شعرياً

لشعر الماغوط أصابع فولاذية... وأظافر قوية... تنشب في وجه البلادة والتكرار والسفاهة والفساد

| سوسن صيداوي

لأنّ الثقافة هي من أهم الأسس التي تقوم عليها المجتمعات، ومنها يكون الانطلاق نحو الحضارة ومواكبة العصرنة، ولأنه واجب على القائمين التشجيع، تُصدر وزارة الثقافة– الهيئة العامة للكتاب كتباً شهرية، لفئة اليافعين من الشباب، لتحقيق الغرض الأسمى في النهوض والبناء، ومن السلسلة التي قامت الوزارة بنشرها، كتاب بعنوان محمد الماغوط، بقلم الكاتب والقاص ناظم مهنا، جاء الكتاب بواقع ٤٤ صفحة، حاولت أن تلّخص مسيرة طويلة من العطاء، لا يمكن لحروف ولا حتى جمل أن توجزها أو تلّخصها، وفي هذا الكتيّب سعى المؤلف أن يقدّم معلومات، قدر المستطاع، كي يُعرّف اليافعين من الشبان السوريين على علم من أعلامها.

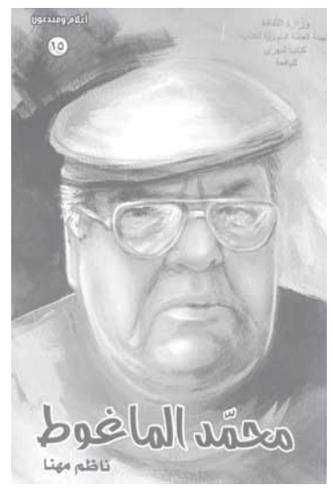

الطفولة... مُرّة

«في الشعر يمتطي الماغوط حلمه ويغيب، وهو يبحث عن الحماية منذ صغره» كلمات باحت بها الشاعرة الراحلة سنية صالح زوجة الماغوط، في مقدمتها لمجموعة «حزن في ضوء القمر»، بهذه الكلمات الموجزة عبّرت عن البعد الطفولي في شخصيته، فلطالما كان عناد الطفولة هو السمة الغالبة على قصائده، وقليلة هي القصائد التي كتبها ولا يعبر الطفل أو خيال الطفولة بين كلماتها، الطفل غير السعيد، طفل الفقر والذكريات المريرة والبرد، حيث يقول في قصيدة من قصائده:

«في طفولتي
كنت أحلم بجلبابٍ مخطّط بالذهب
وجوادٍ ينهب الكروم والتلال
الحجريّة...».

إذاً أعلن شاعرنا الراحل للعالم ببراءة وبصراحة مشاكسته وعصيانه وخروجه عن الطفولة الأولى، ليدخل في طفولة الكبار الذين تزداد مطالبهم، ويعلو احتجاجهم في وجه الآخرين الذين لا يكترثون لصوت الشعراء، فكيف بهم مع الأطفال الفقراء؟.

من السلمية إلى الحياة

لم ينس الماغوط طفولته ولا أمه ولا أباه أو حتى حبيبته «ليلى» التي قد تكون رمزاً لبلدته السلمية أو وطنه سورية، فمن مدينة السلمية على أطراف البادية السورية، خرج الماغوط إلى الحياة، وعاش طفولته وصباه في بلدته حتى انتقل إلى دمشق ثم بيروت، ومنهما إلى العالم العربي وبعض مدن العالم، السلمية حاضرة في شعره حيث يقول في قصيدة «الشتاء الضائع» من ديوان «حزن في ضوء القمر»:

«بيتنا الذي كان يقطن على صفحة النهر
ومن سقفه المتداعي
يخطر الأصيل، والزنبق الأحمر
هجرتُه يا ليلى
وتركتُ طفولتي القصيرة
تذبل في الطرقات الخاوية...»

كانت بالنسبة له موطن ذاكرته الأولى وفيها عاش صباه ورضع منها الفقر والحرمان، ويروي عن طفولته، كما يروي طفل للآخرين ما علق بذاكرته من أحداث وصور ومشاهدات، حفرت عميقاً في وعيه، وتركت أثراً في شعره، حيث يقول «في مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي لم تكن السلمية مدينة، كانت قرية نائية وباسلة، تنظر إلى وحلها ودخانها وعيونها المحمرّة، كما تنظر الفرس إلى أجراسها... أما التاريخ المتسلسل في المعارك الكبرى فيظّل في جيب المختار...».

وفي الحقيقة إن السلمية على الرغم من قلة عدد سكانها إلا أن لها تاريخاً مجيداً ومكانة كبيرة في ذاكرة التاريخ، هذه البلدة السورية العريقة ليس غريباً أن يخرج منها الشعراء والأعلام، منهم الماغوط نفسه الذي تحدّث عن مدينته في صورة شعرية وصفيّة يقدّمها شاعر، قائلاً:

«يحدّها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب الأطلال والغربان
فصولها متقابلة أبدا
كعيون حزينة في قطار
نوافذها مفتوحة أبداً
كأفواه تنادي».

في النشأة

جاء في الكتاب أن الماغوط قدم إلى دمشق عام ١٩٤٨ كي يدرس في معهد زراعي في الغوطة، في تلك الفترة كانت تعصف بالوطن سورية اضطرابات سياسية واجتماعية، وكان نال الوطن الاستقلال وجلا الاستعمار عن أرضه حديثاً، كما ذكر المؤلف: «عاش الماغوط كل تلك الأحداث، وتأثر بها كما تأثر كل أبناء جيله، وكانت المأساة الكبرى، مأساة فلسطين بمنزلة بركان تفجّر معه الحزن العربي، الحزن والغضب الذي يمور في نفوس العرب وعبّر عنه الأدباء والشعراء أصدق تعبير، وبلغ الأمر مع الماغوط حدّ الفجيعة، فصرخ في شعره كالمفجوع، وأشهر غضبه كسيف جُرّد من غمده، وزاد من إصراره على الطفولة، لأنه لا يريد أن يكبر مع هذه الفاجعة، معلناً للكبار الذين حمّلهم جزءاً من المسؤولية، أنه يريد أن يعود إلى بلدته، أي إلى طفولته».

> صوته الغاضب... يريد أن يكون صوت الفقراء المحرومين الضائعين...

في الشعر

على الرغم مما تبدو عليه قصائد الماغوط من بساطة إلا أنها محمّلة بالمعاني والصور المدهشة، والإشارات إلى أحداث ومواقف، وبحسب المؤلف واجه هذا الشاعر العالم بتحدّ وشراسة أحياناً، وأعلن للعالم قدومه إلى الشعر من الأماكن القصيّة الحارة والباردة، كما وصفه المؤلف «كقروي أربكته زحمة المدينة... ومع الفاجعة القومية في فلسطين كبُر الطفل وشاخ قبل الأوان، وصارت كلماته الجارحة أو الحارقة كالجمر، وأصبح شعره الذي يمتزج فيه الذاتي بالموضوعي أو الخاص بالعام، أكثر تأثيراً في القراء، وكرّسته موهبته الصادقة والعفوية شاعراً كبيراً وصوتاً شعرياً لا يمكن لأحد أن يتغافل عنه أو أن يصرف النظر عن أهميته ومكانته في الشعر العربي الحديث، ووقف بجدارة إلى جانب بدر شاكر السياب، وخليل حاوي، ونزار قباني، وأدونيس وغيرهم من شعراء جيله، لا يستطيع أحد أن يدير وجهه لشعر الماغوط، لأن شعره قوي وشرس وتهكمي ومؤثر، أن لشعر الماغوط أصابع فولاذية، وأظافر قوية، تنشب في وجه البلادة والتكرار والسفاهة والفساد... إنه صوت الشاعر الغاضب، المتمرد على واقعه الذي يريد أن يكون صوت الفقراء المحرومين الضائعين في المدينة، مثله مثل الشعراء الكبار في العالم».

كتب الماغوط إلى جانب الشعر، المسرحيات والزاوية الصحفية والسيناريو التلفزيوني والسينمائي، وكتب الرواية أيضا، فله رواية وحيدة وهي «الأرجوحة»، كتاباته كلّها تشبه شعره من حيث روح التهكم والمفارقة في تقريب المتباعدات والمتنافرات وتأكيد البديهيات ونقضها، وعلى الرغم مما يبدو عليها من تشاؤم إلا أنه يؤمن بالإنسان وبإرادة الحياة، ففي قصيدة قالها لصديقه بدر شاكر السياب:

«يا زميل الحرمان والتسكّع
حزني طويلٌ كشجر الحور
لأنني لست ممدّداً إلى جوارك
ولكنني قد أحلّ ضيفاً عليك
في أية لحظة
موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيّات.....».

وفي قصيدة المسافر يقول مخاطباً أباه:

«منذ مدة طويلة لم أر نجمةً تضيء
ولا يمامةً تصدح شقراء في الوادي
لم أعد أشرب الشاي قرب المعصرة
.. لم أعد أجلس القرفصاء
في الأزقة، حيث التسكّع...
فأرسل لي قرميدة حمراء من سطوحنا
وخصلة من شعر أمي...
التي تطبخ لك الحساء في ضوء القمر
حيث الصهيل الحزين
وأعراس الفجر في ليالي الحصاد
بع أقراط أختي الصغيرة
وأرسل لي نقوداً يا أبي
لأشتري محبرة».

وفاته

في ٣ نيسان عام ٢٠٠٦، وهو يوم لن يُنسى، ودّعته دمشق وودّعته معها الحياة الثقافية السورية والعربية، ففي هذا اليوم انتهت حياة الشاعر الماغوط بعد صراع طويل مع المرض، ودُفن في مسقط رأسه في السلمية.

شهادات بعد الرحيل

احتوى الكتاب على مجموعة من الشهادات لأصدقاء من الشعراء كانوا من جيل الشاعر الراحل ومنها نذكر على سبيل الذكر لا الحصر، قال الشاعر نزار قباني في الماغوط:

«أنت يا محمد أصدقنا، أصدق شعراء جيلنا. حلمي أن أكتب بالرؤى وبالنَفَس البريء البعيد النظر الذي كنت تكتب به في الخمسينيّات».

وقال غسان كنفاني:

«كلمات الماغوط شرسة، ومع ذلك فإنّها قادرة على تحقيق إيقاع عذب ومدهش وأحياناً مفاجئ، كأن يتحوّل صليل السلاسل إلى عزف منفرد أمام عينيك ذاتهما في لحظة واحدة».

النيات الحسنة... ولكن

| د. اسكندر لوقا

تراني أتخطى المنطق إذا قلت: إن الكثير مما يتعرض له البعض منا لمواجهة مواقف حرجة سببه، بالدرجة الأولى، عدم القدرة على معرفة تبعات الكلام قبل التأكد من كونه كلاماً مسيئاً أم لا، وإن يكن بشكل غير مباشر؟

إذا سأل أحدنا نفسه عن السبب المباشر الذي يدفعنا إلى مواجهة مثل هذا الموقف لوجد أن آفة الادعاء بمعرفة كل شيء، بما في ذلك معرفة الغيب، تكمن وراء الإساءة إلى الغير في بعض الأحيان بكلام لا يعدو مجرد كلام.

مقارنة مع ما نراه في بلاد الغرب، في هذا السياق، ربما كان مفيداً التذكير بأن الإنسان في الغرب يجيب عادة عن سؤال مبتدئاً بقوله أعرف أو لا أعرف، أستطيع أو لا أستطيع، أريد أو لا أريد، وذلك اختصاراً لزمن الكلام من جهة وفائدته من جهة أخرى، بينما يميل الشرقيون إلى اعتماد مقدمة في الرد على سؤال أو الإجابة عنه قائلين: أعتقد أن، أو ربما، وسوى ذلك من عبارات تحتمل المعرفة بالفعل أم لا. وبسبب من الإطالة قد تضيع فرصة التأكيد، وقد يجرنا ذلك إلى ارتكاب خطأ عن غير قصد، ويصعب إصلاحه بعد فوات الأوان.

في بلاد الغرب، في أوروبا، كما في بعض الدول الأخرى القادرة على اختزال الزمن، يأتيك الجواب ونقطة على السطر، بينما عندنا نقوم باللف والدوران حتى نتمكن من الرد على السؤال أو الإجابة عنه. ومرد ذلك في سياق قراءتنا لنفسية الإنسان الشرقي عدم قدرته على التعامل المتقن مع الزمن، وثمة أمثلة على ذلك حين نستمع إلى تحليل الحدث أي حدث سياسي أو اقتصادي أو ثقافي– على سبيل المثال– إذ يبدأ عادة بعبارة «أعتقد»، أو «في رأيي»، وقد لا يكون السؤال يحتمل أكثر من عبارة «أؤكد» أن المسألة كذا وكذا، كما هو الحال في سياق قراءة أرض المعركة في زمن الحرب حيث لا مجال لتخطي نقط التواجد أو المواجهة على الأرض بحكم قراءة مجرياتها.

في كل الأحوال، طبيعة الإنسان العربي، هي أن يطيل دربه وصولاً إلى غايته خلال تبادل الرأي مع الآخر، وغالباً خارج الاهتمام بالزمن وجدواه، ونلحظ ذلك، أحياناً، في سياق إطالة زمن مقدمة الحديث حول هذه المسألة أو تلك. وربما كان السبب في ذلك الحرص على جعل الآخر في حالة انتظار قبل البدء في معالجة الموضوع المطروح على طاولة النقاش أو الدراسة. وقد يكون ذلك بحسن النيات ولكن متى كانت النيات الحسنة– كما يقال– توصل أصحابها إلى الجنة؟

برجك اليوم ٢/٢١

نجلاء قباني

الحمل: تتعرض لأحكام جائرة من أشخاص يقولون ما لا يعنون لا تقدم على قرارات متسرعة، وربما تغوص في تفاصيل عقيمة وتنفعل بسرعة فأنت مرهف الحس، ابحث في أدق التفاصيل.

الثور: أنت تجد حلولاً ومساعدات من أصدقاء قدامى وتقوم بجهد مضاعف واليوم للأوراق، والحظوظ ملائمة لكل جديد أو متغيرات تفكر بها والأصدقاء يدعمون أقوالك ويسمعونك.

الجوزاء: تنال اليوم مدحاً وتأييداً على إنجاز لم تتوقعه ما سيسبب لك سعادة كبيرة، فلا تعاند أو ترفض مساعدات الآخرين من حولك أو مساعدة من يحبك فالمحبة عطاء.

السرطان: رطب المحيط من حولك كي لا يؤثر الضيق في عملك ولا تستعجل ولا تهتم للتأجيل، فقد تصاب بضيق لأنك لا تنجز أعمالك واليوم لليأس أو للتأجيل، فاهدأ وتمالك أعصابك.

الأسد: المحيط حولك غير متعاون وقد تشعر أنك عبثاً تناضل فأنت حساس اليوم ومشغول بأعمال متعبة ومرهقة، أمور عملية لا تفهم فيها تقنياً أو أعطال تضايقك.

العذراء: حاول أن تكشف للآخرين عن مشاعرك بهدوء، كلمة حب أو عرض عمل يفاجئك، فالروتين لا يضايقك بل يسعدك إحساسك بالتفوق والسعادة وعود مفرحة ومبشرة.

الميزان: لا تفكر بالاستقلال عمن حولك ولا تتكل عليهم كل الاتكال فخير الأمور الوسط، فعلاقاتك الشخصية وقراراتك تعاني من إرباك، لا توصل نفسك لطريق مسدود.

العقرب: قد تسعد بخبر عاطفي أو تحمل هذه الأيام فرصة لارتباط عاطفي تناقشه مع من تحب، وتمسك بواقعيتك على الصعيد المالي والعملي فقد تحصل على مصالحة مع المحيط.

القوس: أنت كريم اليوم وقد تتعرض لمصاريف في واجب لغيرك فلا تصرف مالك في غير مكانه، وقد تشغلك قضية مهنية جيدة ومهمة لها علاقة بأحداث أو أوضاع عامة مهنية أو مالية.

الجدي: الحظ معك اليوم ولا شيء يقف في وجهك فثقتك بنفسك تجعلك سعيداً ناجحاً وهادئاً، ونجاح محتمل في التجارة أو الأعمال يواجهك لأنك تعمل بإحساس كبير بالنشاط والتجدد.

الدلو: قد تنسى أشياء مهمة فحاول أن تركز تفكيرك وخاصة على الأشخاص المقربين منك، ولا تجعل الآخرين يزرعون فيك الشك، اسأل قلبك واحذر الأخبار الوهمية والكآبة.

الحوت: الكواكب داعمة لك وقد تفتح أمامك فرصاً جديدة على كل الصعد ارتياح يسعدك، وقد تشد الأنظار إليك وتزودك الأماني برغبة في كسب التأييد والاهتمام والحب.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – ممثلة سورية.
٢ – يشرح – متشابهان – نقاش.
٣ – كف (م) – أعترف – بقايا (م).
٤ – عكس شهيق – حروف متشابهة.
٥ – ضروري – يمشي (م).
٦ – أود – خاصته – نصف بحار.
٧ – موسيقار سوري.
٨ – متشابهان – بيت.
٩ – يوضع في المعصم (م) – من المكسرات.
١٠ – وطنهم (م) – قيد.
١١ – سهل – أصالة (م).
١٢ – بكاء – أنحني – قِط.

عمودي:

١ – ممثل مصري – حالي.
٢ – جمع من الناس – أم البشرية – نعم بالأجنبية (م).
٣ – أساس – يقسر – حرف ناصب (م).
٤ – هروب – يسمم (مبعثرة).
٥ – في الجلد – متشابهان.
٦ – علم – أستطيع (م).
٧ – متشابهان – حدث (م) – عتب.
٨ – ممثلة تونسية.
٩ – لا نبوح بها – عقيدة – نصف علام.
١٠ – أملي – علم مذكر (م).
١١ – نصف أثمر – شتم – إلهي.
١٢ – ممثلة مصرية – حروف متشابهة.

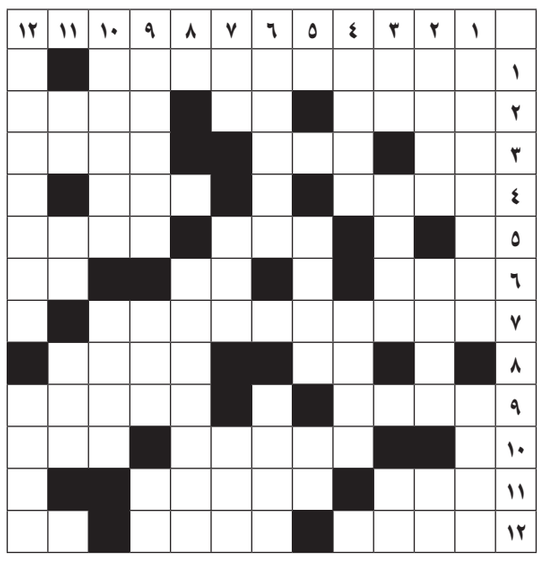

الحل السابق:

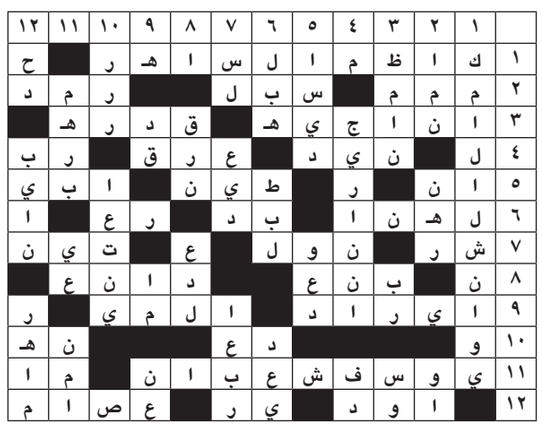

كلمة السر

ا	ي	ل	و	ح	م	ا	ع	م	ا	ل	ن
ل	ل	ر	ي	هـ	ا	م	ج	ل	ا	و	ج
ف	هـ	ا	ا	ا	ن	ك	ت	ر	ج	هـ	م
ن	ا	ل	ح	ف	ر	ع	ا	ا	ل	و	ا
ك	ف	ا	ب	ا	ل	ق	س	و	ة	ا	هـ
ل	ا	ا	ك	ل	ا	ا	ذ	ا	م	ل	ل
هـ	ن	ن	د	ق	ف	ت	ل	ز	ا	م	ا
ذ	ا	ت	م	ا	هـ	د	ا	ت	ر	ن	و
هـ	ص	ن	ك	ا	م	ا	ل	ا	ل	ك	ق
م	ف	ا	ر	غ	و	ت	و	ا	ل	ا	ع
ع	ي	ت	ل	ا	ر	ء	ا	م	س	ي	ف
ي	ف	ت	ل	ت	ي	ت	ر	ص	د	ق	ل

كلمة السر مؤلفة من تسعة حروف: ممثلة سورية.

(لقد صرت نجماً لامعاً في سماء الفن... والجماهير تلتف حولي لأوقع لها (الأوتوغراف)... إلا أنت... فقد هجرت كل الأماكن التي كنا نرتادها... ولا أعرف لماذا كل هذه القسوة معي، فأنا ما زلت أحبك...)

SUDOKU

4			6			7		
5					4	3	1	
1	6			3	8		2	
		6		5		2		9
		9		1		4		
7		5	9	2		1		
	8		1	4			3	7
	7	4	3					1
		1			9			2

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

7	1	5	3	4	2	8	9	6
2	3	6	9	8	5	1	4	7
8	9	4	7	6	1	3	5	2
5	6	3	8	2	7	4	1	9
4	2	8	1	5	9	7	6	3
1	7	9	6	3	4	2	8	5
6	5	1	4	7	3	9	2	8
9	8	7	2	1	6	5	3	4
3	4	2	5	9	8	6	7	1

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١١°/-١°	١٣°/٠°
حمص	١٥°/-١°	١٥°/١°
حلب	١٣°/٠°	١٥°/٣°
اللاذقية	١٧°/٩°	١٨°/٩°
السويداء	١٠°/٠°	١١°/٢°
الحسكة	١٢°/٠°	١٤°/١°

من هو؟

ممثل سوري: إذا جمعت الأحرف:

٥ + ٦ + ١: كأس
٣ + ٤ + ٢: البارحة
٨ + ٧: أساس

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: علا غانم.